



تحقيق المخطوطات بين النظريات والتطبيق

الدكتور: وانس صلاح الدين
جامعة حسية بن بو علي - الشلف.
Email : salahd81@gmail.com

ملخص

يُعد علم تحقيق المخطوطات من الموضوعات الهامة التي شغلت بال واهتمام الباحثين العرب، خاصة بعد أن قلّدوا المستشرقين أصحاب قصب السبق في طرق بابه، فتسابق الباحثون العرب والجادين منهم إلى وضع مناهج وقواعد شتى؛ فرادى وجماعات، من أجل خدمة هذا التراث الذي ينبض بالمعرفة والعلم. غير أن الكثير من التراث المحقق، ينم على بعض الأخطاء المنهجية؛ بسبب محاولات بعض الباحثين العرب ابتكار منهج جديد وقع أصحابه في أخطاء منها: بعد هذا المنهج الجديد عن المنهج العلمي، وتعصب العرب الناقدين للمنهج الغربي، وعدم اطلاعهم على المناهج السابقة وتركيزهم على النص دون المحقق. حاولت أن أتلمس جوانب هذا الموضوع، معالجا إياه مبينا ثمرة هذه الجهود، مقترحا بعض الشروط الهامة التي ينبغي أن تتوفر في المحقق.

الكلمات المفتاحية: المخطوطات؛ التحقيق؛ النظريات؛ المنهج.

Abstract

The study of the manuscripts is one of the important topics that attracted Arab researchers, especially after they imitated orientalist who were the first to take the lead towards it its doors. Serious Arab researchers, individuals and in groups, were eager to develop different curricula and rules for the service of this heritage, which is full of knowledge and sciences. However, many of the studied heritages contain some methodological errors because some Arab researchers have tried to invent a new approach that their authors have been

wrong in some errors such as: the far of this new approach from the scientific method, the Arabs' intolerance to the Western curriculum, and their ignorance of the previous curricula and their focus on the text without the investigator. I tried to grasp the aspects of this subject, addressing it, showing the fruit of these efforts, suggesting some important conditions that should the investigator have.

Key words: Manuscripts, investigation, theories, curriculum.

تقديم:

يعتبر تحقيق التراث أمر من الأهمية بمكان، لأنه يصل حاضر الأمة بماضيها، ويساهم مساهمة فعالة في بعث كنوزها الدفينة من العلوم والآداب والفنون. فيستفيد الأحفاد مما خلفه لهم الآباء والأجداد، من ذخائر فكرية متنوعة، يتخذونها منطلقاً لهم في متابعة المد الحضاري والثقافي والمساهمة فيه مساهمة فعالة، حيث بات معلوماً أنه لا تجدد في مجال من مجالات العلم والفكر والثقافة، إلا باعتماد قاعدة من المعارف والأفكار تكون الأسس التي لا بد منها في عملية الإبداع العلمي الفكري، لأن أية محاولة للتجديد من دون اعتماد تلك المعارف والأسس، لا تعدو أن تكون توهماً، أو ضرباً من ضروب الخيال.

فالإحساس بقيمة هذا التراث العلمي والفكري، هو إحساس طبيعي بالماضي وحاجة الحاضر إليه، فالماضي والحاضر كلاهما يستحوذ على أعماق شعورنا، والعمل على استثماره على الأسس العلمية التي يجني منها الواقع أذكى الثمار وأشهاها، هو بعينه الرؤية العلمية الصحيحة للتجديد.

لذلك كان علم تحقيق المخطوطات من الموضوعات الهامة التي شغلت بال واهتمام الباحثين العرب خاصة بعد أن قلدوا المستشرقين أصحاب قصب السبق في طرق باب هذا المجال، فتسابق الباحثون العرب والجادين منهم إلى وضع مناهج وقواعد شتى فرادى وجماعات من أجل خدمة هذا التراث الذي ينبض بالمعرفة والعلم.

غير أن الكثير من التراث المحقق؛ ينم على بعض الأخطاء المنهجية بسبب محاولات بعض الباحثين العرب ابتكار منهج جديد وقع أصحابه في أخطاء منها بعد هذا المنهج الجديد عن المنهج العلمي وتعصب العرب الناقدين للمنهج الغربي وعدم اطلاعهم على المناهج السابقة وتركيزهم على النص دون المحقق.

وهو ما يدفعنا إلى طرح الإشكال التالي: "هل تستطيع هذه النظريات أن تصمد أمام واقع التحقيق وتستطيع أن تلبي حاجات المحقق؟"، أم أنها عبارة عن مثل وتعاليم بعيدة المنال مستحيلة التطبيق، وإلى أي مدى تطابقت هذه المناهج المطروحة والنظريات والقواعد المتبعة في التحقيق عند العرب وقدرة الباحث على تطبيقها ميدانيا مع التراث العربي المحقق، وهل يمكن أن نجد لها أثرا، وما الذي يؤرق المحقق تحرير النص وتحريره من النسيان؟ أم الإخراج الفني؟

حاولت أن أتلمس جوانب هذا الموضوع، معالجا إيّاه مبينا ثمرة هذه الجهود، مقترحا بعض الشروط الهامة التي ينبغي أن تتوفر في المحقق.

وقد قسّمت البحث إلى مقدمة، وثلاث مباحث، وخاتمة تضمّنت أهم النتائج المتوصل لها مع تقديم مقترحات للمنهج العلمي في التحقيق رأيتها ضرورية ومهمة، من أجل السعي قدما نحو منهج علمي رائد ورصين.

وجاء المبحث الأول كمدخل تمهيدي تحدث فيه عن ماهية علم التحقيق وأهمية المخطوط عند العرب، وقسّمت هذا المبحث إلى مطلبين الأول تعريفني بعلم التحقيق والثاني الأهمية العلمية والثقافية والاجتماعية للمخطوطات على الفرد والمجتمع.

أما المبحث الثاني، فعنونه بجهود المحققين الغرب ومناهج المحققين العرب : فكان المطلب الأول عن جهود المحققين المستشرقين و بما عليها من ملاحظات فقد كانت شرارة البداية والانطلاقة الحقيقية لفتت انتباه العرب لقيمة تراثهم القديم، بينما المطلب الثاني خصصته: مميزات وخصائص مناهج التحقيق عند العرب، وحاولت أن أسوق نوعين من المناهج الفردية والجماعية المؤسساتية وقسمتها إلى قسمين مناهج مستقلة قطعت كل صلة بمناهج الغرب المستشرقين بل أعابت عليها ولم تقلد

التجارب السابقة العربية التي طبقت على الأحاديث مثلا محاولة ابتكار منهج فريد، أما القسم الثاني فهي مناهج لم تنطلق من فراغ بل حاكت الغرب واستفادت بها عندهم من دقة وأسلوب علمي رصين، ومنهج تحقيق النصوص الإسلامية (الحديث وطرق تخريجها) فصاغت منهاجاً جديداً مزيجاً ما بين الثقافتين والحضارتين.

أما المبحث الثالث؛ فقد خصّصته إلى بعض الملاحظات على جهود الغرب من المستشرقين وبعض المؤخذات والتصويبات على مناهج العرب لتقويم بعض الأخطاء والانتباه لبعض الهفوات في الأبحاث القادمة، مع سياقة بعض الأمثلة تزيد من وضوح الفكرة وسداد الرأي وتقويم المنهج.

المبحث الأول: ماهية علم التحقيق وأهمية المخطوط عند العرب،

المطلب الأول: ماهية علم التحقيق.

أولاً: تعريف التحقيق لغة واصطلاحاً.

1- لغة: اثبات المسألة بالدليل¹.

ومحقق: أي محكم، يقال: "كلام محقق" أي محكم منظم.

والحق: الثابت الصحيح، وهو ضد الباطل².

وقال أبو البقاء: التحقيق: تفعيل من حق بمعنى ثبت.

وقال بعضهم: التحقيق لغة: رفع الشيء إلى حقيقته بحيث لا يشوبه شبهة، وهو المبالغة في إثبات حقيقة الشيء والوقوف عليه.

والتحقيق: مأخوذ من الحقيقة وهو كون المفهوم حقيقة¹.

1 - التهانوي، كشّاف اصطلاحات الفنون، تحقيق لطفي عبد البديع، مصر-القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (1382هـ/1963م)،.

2 - معجم الفاظ القرآن. مجمع اللغة العربية، ج1، القاهرة، سنة 1970م، ص288.

ثم يقول: والتدقيق: إثبات دليل المسألة على وجه فيه دقة². وفي لسان العرب التحقيق: حققت الأمر: كنت على يقين منه³.

وهو التصديق واثبات الحق واحكام الشيء وصحته، وقد استعملت كلمة التحرير للدلالة عليه في السابق، فقالوا تحرير الكتاب خلوصه وتقويمه، وحق الأمر: صار حقا وثبت وأحققت الأمر احقاقا، وأحققت الأمر احقاقا: أحكمته وصححته⁴، وحققت العقدة أحققها: إذا أحكمت شديدا⁵

2- اصطلاحا: بذل الجهد واستقصاء البحث، بغية الوصول إلى حقيقة ما قاله مؤلف النص.

وهذا هو الذي كان يقصدها عبد السلام هارون: بذل عناية خاصة بالمخطوطات حتى يمكن التثبت من استفاائها لشرائط معينة⁶.

أو هو: عملية مركبة تقتضي إخراج نص مضبوط يكون على الصورة التي قاله عليها صاحبه⁷، أو أقرب ما يكون إلى ذلك على الأقل.

1 - أبو البقاء: كليات أبي البقاء، طبعة بولاق 1235هـ، ص122. (نقلا عن: عبد المجيد دياب: تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، دار المعارف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، الطبعة الثانية، سنة 1993م، القاهرة- منيل الروضة، ص 134).

2 - أبو البقاء: المصدر نفسه

3 - ابن منظور: لسان العرب، ج11، الطبعة الثانية، لبنان: بيروت، دار صادر (1414هـ/1994م)، ص333.

4 - ابن منظور: لسان العرب، ج11، ص333، صحاح الجوهري: تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلوم للملايين، بيروت - لبنان، 1407هـ/1987م، الفيروز آبادي: القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، 1426هـ/2005م، حرر وحقق،

5 - أساس البلاغة، ج1، ص189.

6 - عبد السلام هارون: تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، 1418هـ/1998م، ص42.

77 - فهمي سعد وطلال مجذوب: تحقيق المخطوطات بين النظريات والتطبيق، مع تحقيق ودراسة الرسالة الأولى دلف الخزرجي، الطبعة الأولى، 1413هـ/1993م، ص5.

أما علم المخطوط، فهو العلم الخاص بالدراسة الفيلولوجية والكوديكولوجية للكتب غير المطبوعة¹.

والمراد بالدراسة الفيلولوجية: هي دراسة متون المخطوطات وما فيها من مادة علمية (تحقيق النصوص).

والمراد بالدراسة الكوديكولوجية: هي دراسة الشكل المادي للمخطوطات (الخبر، الجلد، الورق).

المطلب الثاني: أهمية المخطوطات العلمية والثقافية والاجتماعية.

إن المخطوطات أهم وأفضل موروث، ففيها دونت علوم الأمم وتاريخها وحضارتها ولغتها، وفيها دَوْن الوحي وتفسيره (أحاديث المصطفى صلى الله عليه وسلم، وشروحها)، وفقه الأئمة وعلم الأئمة، وأمة بغير تاريخ ليست أمة، والمخطوطات صورة حية لتتاج الفكر الإنساني في مجالات العلم والمعرفة، بشتى فنونها وفروعها، ضمت مصنفات الفقهاء ودواوين الشعراء، وتجارب العلماء واستنتاجاتهم، وفيها تكمن روح الحياة الثقافية والمعرفية التي عاشها أولئك الصفوة من المؤلفين طوال القرون الماضية، فالمخطوطات شكّلت جسر التواصل بين الأجيال وحلقة الربط بين الحاضر والماضي ومرآة المستقبل، بل عنوان لوفاء الخلف لأسلافهم في دينهم ولغتهم وتاريخهم وعلومهم وحضارتهم وعاداتهم وتقاليدهم. وقد حوت المخطوطات الكثير من العلوم، فهي غنية بمضامينها الفكرية والفنية والعلمية، وهي خير شاهد على عظمة أسلافهم في أخذ العلم وتمثله بأوجهه المتنوعة، ولأنها تمثل عصارة فكر الإنسان العربي والمسلم في المشرق والمغرب وفي أنحاء عدة من العالم، وبالجملية فهي²:

1 - إبراهيم بن حسن بن سليمان البلوشي: علاقة اللغة العربية بتحقيق المخطوطات، وهي ورقة بحثية مقدمة في المؤتمر الدولي للغة العربية-العربية لغة عالمية: ومسؤولية الفرد والمجتمع والدولة، بدون تاريخ، ص6.

2 - شوقي بركة: التراث المخطوط بالصحراء الكبرى حفظه ومراكزه واتاحته للباحثين، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد15، (2011) ص59، 60.

- تعكس جانبا تاريخيا من حياة أمتنا العربية والإسلامية، إذ تمكننا من الوقوع على الكثير من الأحداث والوقائع والحقائق التي طواها النسيان، وجهلت حيثياتها ومعالمها.

- تعرفنا على أعلام المنطقة وجهودهم الفكرية والإصلاحية عبر العصور وتضع بين أيدينا الحقائق الواضحة

- تقدم لنا صورا متنوعة لمجتمعاتنا في النواحي الدينية والخلقية والاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والفكرية وغيرها من النواحي الكثيرة.

- تسجل لعلاقات التي كانت تربط الشمال بالجنوب وحركة انتقال الإسلام واللغة العربية إلى إفريقية السوداء.

- ولا تخفي القيمة الحضارية والفكرية التي تحملها هذه المخطوطات لأنها تحمل علم الأولين وتعرفنا إياه ومدى التطور الحاصل في مجالاته المتنوعة عبر السنين.

لذلك كان لزاما علينا العناية به والحرص على أن ترى الكثير من المخطوطات النور واخراجها من غربتها، ذلك لأن أغلبها يتهدها الكثير من الأخطار كالحرق أو الغرق أو نالت منها السنون أو غيرها الظروف الطبيعية، أو قد تتعرض للسلب أو النهب لقلة الوعي بأهميتها، مثل مكتبة بغداد التي قضى عليها التتار، ومكتبة نور الدين السالمي في الرستاق التي أحرقت.

وقد أدرك الغرب هذه الأهمية القصوى لهذا التراث النفيس فسبقنا إلى تحقيق تراثنا، بل وقد خصّصت بعض الدول الغربية كراسي الأستاذية في الجامعات لدراسة التراث العربي الإسلامي وأثره على الحضارة العالمية.

المبحث الثاني: جهود المحققين الغرب ومناهج المحققين العرب.

المطلب الأول: جهود المستشرقين في تحقيق التراث العربي:

كان للمستشرقين فضل سبق في هذا الميدان، حيث سبقوا العرب في تحقيق تراثهم العربي ونشره منذ أكثر من مائة عام متبعين في ذلك نهجا علميا دقيقا استقوه

من القواعد والأسس التي وضعها علماء الغرب القدامى عند نشرهم لنصوص للآداب قديمة يونانية واغريقية منذ القرن الخامس عشر الميلادي، فقد استفادوا مما كتبه سلفهم من قواعد انشر الآداب اليونانية واللاتينية وآداب القرون الوسطى¹، ثم استعمل هؤلاء تلك القواعد في نقد الكتب العربية الشرقية، غير أنهم لم يؤلفوا في ذلك تأليفا خاصا، حتى كان الدكتور برجستواسر أول من ألف في ذلك مع تطبيق ذلك على التراث العربي، أخذ بالحسبان طبيعة المخطوطات العربية، من حيث اختلاف النسخ وأفضليتها ونحو ذلك².

ورغم الصعوبات التي واجهتهم في فهم النصوص أهمها ضعفهم باللغة العربية وعدم إلمامهم بالتاريخ العربي، غير أن هذه العوائق لم تمنعهم من مواصلة جهودهم لتحقيق هدفهم الأساسي، وهو اخراج هذا التراث من الظلمات إلى النور. ومن بين هؤلاء المستشرقين نذكر³:

- 1- وليم رايت (الانجليزي) الذي نشر كتاب "الكامل" للمبرد بشكل متقن مزود بالفهارس الدقيقة المستقصية، طبع في ليزج سنة 1864م.
- 2- جوستاف يان (الألماني) الذي نشر شرح المفصل لابن يعيش في ليزج سنة 1882م.
- 3- هارتفيج ديرنيورج (الفرنسي) الذي نشر كتاب سيبويه في باريس في مجلدين ظهر أولهما سنة 1881م والثاني 1889م.
- 4- قستنفلد (الألماني) الذي نشر سيرة ابن هشام في ليزج سنة 1899م.

1 - صلاح الدين المنجد: قواعد تحقيق المخطوطات، الطبعة السابعة، بيروت، 1987م، ص7.
2 - إيداد خالد الطباع: منهج تحقيق المخطوطات ومعه كتاب شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام لابن وحشية النبطي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1423هـ/2003م، ص14.
3 - رمضان عبد التواب: مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى 1406هـ/1985م، ص57.

بل لم يكن للعرب أن يلتفتوا لهذا التراث لولا جهود المستشرقين، ولم يقتصر الأمر على الأفراد بل تبنى الموضوع مؤسسات مستقلة بذاتها لنشر النصوص العربية القديمة وتحقيقها ومن بين هذه الجمعيات نذكر على سبيل المثال لا الحصر¹:

جمعية المستشرقين الألمان DMG في نشراتها الإسلامية Bibiotheca Islamica، وكان يشرف عليها المستشرق هـ- ريتز. وجمعية غيوم بوده Association Guillaume Budè في فرنسا

المطلب الثاني: مميزات وخصائص مناهج التحقيق عند العرب:

عرف التحقيق العربي للمخطوط نوعين من المناهج:

مناهج فردية اخترعها علماء أفاضل منهم من أصاب ومنهم من جانب الصواب، ومناهج جماعية مؤسسية يمكن أن تضم بعض من أولئك الذين اجتهدوا وابتكروا واخترعوا.

أولاً: المناهج الفردية:

انقسم المحققون العرب في وضع مناهج لتحقيق التراث العربي إلى قسمين:

1-الرافض لتقليد المستشرقين جملة وتفصيلاً: يذهب فريق كبير من الباحثين في هذا الفن إلى أنّ علم تحقيق المخطوط هو منهج عربي أصيل، وأن العرب هم الرواد لهذا الفن في طرق بابيه ووضع قواعده ومناهجه، وهو ما يضحض زعم بعض الباحثين من العرب في أن فن تحقيق النصوص فن حديث، ابتدعه المعاصرون من المحققين العرب أو استقوه من المستشرقين الذين سبقونا في العصر الحاضر بعض الوقت في تحقيق شيء من تراثنا ونشره بين الناس²، وهو منهج رافض لتقليد المستشرقين جملة وتفصيلاً، فقد أكد رمضان عبد التواب بعد أن أدحض مزاعم بعض

1 - صلاح الدين المنجد: قواعد تحقيق المخطوطات، الطبعة السابعة، بيروت، دار الكتاب الجديد 1987م، ص8.

2 - رمضان عبد التواب: مناهج تحقيق التراث بين القدماء والحدثين، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1406هـ/1985م، ص1.

الباحثين في أسبقية المستشرقين العرب في هذا الفن، حيث يقول: أن العرب سبقوا علماء أوروبا إلى الاهتمام للقواعد التي يقابلون بها النصوص المختلفة، لتحقيق الرواية والوصول بتلك النصوص إلى الدرجة القصوى من الصحة¹، ويسوق في ذلك بعض النماذج العربية الرائدة فيذكر: علي بن محمد بن عبيد الله اليونيني (ت. 701هـ) في تحقيق روايات صحيح البخاري للإمام البخاري (ت. 256هـ) صاحب الصحيح، فقد تمكن من اخراجه على الصورة التي بين أيدينا، وهو على حدّ قوله مفخرة لعلمائنا القدامى في التحقيق والضبط، وتحري الصواب²، وقد شرح اليونيني في بحث له منهجه في العمل ومختصراته ورموزه³، واضعا بذلك أصول منهجه العربي الأصيل، وقد تأثر به بعض العرب بهذا المنهج محاولين وضع مناهج جديدة رافضين للمنهج الغربي متعصبين لمناهج العرب بل حاول بعضهم أن يتدع طرق وأساليب جديدة محاولا ستر نقصه بالطعن فيما جاء به الغرب ونشره مبينا ضعفهم في اللغة وعدم إلمامهم بالتاريخ، ومن أبرز الرافضين لنهج المستشرقين عبد السلام هارون، وعندما وجه له هذا النقد حز في نفسه اتهام اخوانه المشرقين له رغم أن بعض المستشرقين كتبوا له مهئين إياه بهذه الخطوة الجريئة في مجال لم يسبق وأن ألف فيه أحد فما بالك أن ترسم له طريقا جديدا وتضع له أسسا تكون الأولى من نوعها حيث يقول: "إذ أمكنني بعون الله وحده أن أضع علما متكاملا لم أسبق إليه"⁴، ليس هذا فحسب بل إنه يشك في الثقافة الغربية الوافدة إلينا والتي لا تخلو من السموم على حدّ قوله، مجنبا نفسه بل عاصما إياها من "التطفل على مائدة كثيرا ما وضع فيها للعرب صحاف مسمومة"⁵ كيف لا وموائد العرب حافلة بالجهود الوثيقة، والأمانة العلمية المرموقة⁶.

1 - رمضان عبد التواب: مرجع سابق، ص 13.

2 - رمضان عبد التواب: المرجع السابق، ص 13.

3 - رمضان عبد التواب: المرجع نفسه، ص 14.

4 - عبد السلام هارون: تحقيق النصوص ونشرها، مقدمة الطبعة الثانية ص 8

5 - المرجع نفسه ص 8

6 - المرجع نفسه ص 8

ويبرر أن هذا النهج استقاه من جهود مجتمعة عساه، يتخلص من أسر زعماء الاستعمار الثقافي على حد قوله، نجملها فيما يلي:

- تجارب العرب الأمناء؛

- تجاربه الخاصة التي حاول من خلالها ترسم وتتبع خطى العرب الطاهرة زهاء أربعين عاما؛

- مشاهداته وحضوره العلمي؛

- نهج السلف القدامى.

فجاءت آثارهم المحققة يعثرها الكثير من النقص، ويكتنفها الكثير من العوار ناهيك عن التناقض، وفي بعضها تكون بعيدة كل البعد عن المنهج العلمي، وربما وقع بعضهم في الخلط بين قواعد التحقيق والعلوم المساعدة على التحقيق.

2 - المستفيد من المناهج الغربية والمناهج السابقة العربية: حيث استطاعوا بعد الاطلاع على نهج المستشرقين والافادة من المناهج السابقة بناء قاعدة منهجية صحيحة ووضع قواعد جديدة مبتكرة من هؤلاء الجادين الباحث المحقق صلاح الدين المنجد، الذي يشيد بمناهج المستشرقين واستعان بقواعد المحدثين في ضبط الروايات فيقول: "وقد استقيناها من نهج المستشرقين الألمان ومن خطة جمعية غيوم بوده ومن قواعد المحدثين القدامى في ضبط الروايات ومما نشر في هذا الموضوع من قبل"¹، فهو يضع طريقا جديدا لمنهج علمي رائد في التحقيق مزيج بين تجربتين فذتين:

غربية علمية تتمتع بالدقة والأمانة في ضبط النص واخراجه في أحسن صوره. وعربية تهتم بضبط الروايات في سندها وممتنها. فهي طريقة مبتكرة جديدة تدعم بها علم التحقيق.

1 - صلاح الدين المنجد: قواعد تحقيق المخطوطات، ص8.

وسنعرض للقواعد التي وضعها الدكتور صلاح الدين المنجد التي انبثقت من تلاقي ومزج هذين التجريبتين وكذا من تجربته الطويلة مع التحقيق ليصنع لنا منهجا جديداً أخرجها في كتاب "قواعد تحقيق المخطوطات"¹.

ويمكن أن نقسم القواعد التي وضعها الدكتور صلاح الدين المنجد، بعد الاستقراء والتأمل إلى ثلاثة أقسام رئيسية:

أ- ما يتعلق بالجانب التقني في المخطوط (جمع النسخ وترتيبها وتقسيمها إلى فئات)

ب- لب الدراسة وجوهرها (يتعلق بالنص شكلا ومضمونا)

ت- ما يتعلق بالجانب الفني الجمالي (التنقيط التشكل الأقواس وكل ما يزيد في وضوح النص وجلائه واخراجه في أحسن صورته).

وقد جاءت قواعده في المستوى ولاقت قبولا عند العلماء في المؤتمر الذي تم عقده في المجمع العلمية بدمشق سنة 1956م، وحضره علماء من بلدان مختلفة كالقاهرة ودمشق وبغداد وبعد دراسة لجنة التراث العربي في المؤتمر والمؤلفة من "خليل مردم بك رئيس المجمع العلمي العربي يومذاك، والدكتور مصطفى جواد، والأمير جعفر الحسيني؛ وقد انتقلوا إلى رحمة الله، والأستاذ: محمد بهجة الأثري، والأستاذ خير الدين الزركلي، وصلاح الدين المنجد"² وبعد دراستها رأت اللجنة الموافقة عليه، وترجمت إلى ستة لغات وهي "الفرنسية ثم الإسبانية، ثم الإيطالية ثم الفارسية ثم التركية ثم الانجليزية"³.

ثانيا: المناهج الجماعية المؤسساتية.

1 - صلاح الدين المنجد: المرجع نفسه، ص3.

2 - صلاح الدين المنجد: قواعد تحقيق المخطوطات، ص3.

3 - صلاح الدين المنجد: المرجع نفسه، ص3.

هي جهود بعض العلماء تكاتفت وتوحدت في البدايات الأولى عندما بدأ العرب ينتبهون لتراثهم ويفيقون من ثباتهم في سعي منهم لمحاكاة أساتذتهم الغربيين من المستشرقين، فكانت أول مبادرة جماعية مؤسسية من قبل المجمع العلمي بدمشق، حيث نال شرف وضع أول منهج لتحقيق كتاب وكانت أول باكورة "نشر كتاب تاريخ مدينة دمشق"¹ فكانت اضافة ايجابية.

حيث قام مجموعة من العلماء بوضع قواعد عامة موجزة، سنحاول أن نورد المعالم الكبرى لها، وهي تعتبر الأولى من نوعها في وضع منهج جماعي:

- كان الهدف تقديم نص صحيح؛
- الاجاز في التعليق كي لا يثقل النص بتعليقات طوال؛
- ضبط الأعلام؛
- تفسير الألفاظ الغامضة؛
- صرف النظر عن تخريج الأحاديث؛
- يسمح بوضوح النقطة والنقطتين والفاصلة وإشارات الاستفهام والتعجب لتوضيح النص؛
- اثبات الآيات القرآنية بين قوسين؛
- ترقيم سطور النص.

المبحث الثالث: مؤاخذات على جهود الغرب المستشرقين ومناهج العرب.

المطلب الأول: على جهود المستشرقين:

1- الأخطاء النحوية والإملائية:

1 - صلاح الدين المنجد: المرجع نفسه، ص9.

من خلال ما سبق، وبعد اطلعنا على بعض الأعمال الغربية المحققة، نجد الكثير من النصوص المحققة من قبل المستشرقين لا تخلو إن لم نقل مليئة بالأخطاء النحوية والإملائية وذلك راجع لضعفهم باللغة العربية-وان كان هذا الحكم لا يمكن تعميمه- من ذلك ما أورده صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد في قسم نقد وعرض الكتب: وفي مقالة تحت عنوان: لسان الدين بن الخطيب أعمال الأعلام: تحقيق الأستاذ ليفي بروفنسال، حيث حاول صاحب المقالة تقديم تصويبات على الطبعة الجديدة التي أخرجها المحقق ولكن للأسف كانت بعد وفاته، كان يا حبذا لو أهديت إليه وهو حي حتى يطعم بها بحثه، فكانت التصويبات في المستوى، خاصة في المجال اللغوي النحوي والشكل فيما له علاقة بالتنقيط نورد منها على سبيل المثال لا الحصر¹:

- في الصفحة 128 الخطأ: "مما يرجى القول فيها إلى الجزء الثالث"، والصواب "يرجأ" يؤخر ويؤجل.
- في الصفحة 153 الخطأ "والجد يساعده بكسر الجيم، والصواب الجد أي الحظ بفتح الجيم.
- الصفحة 160 الخطأ "وقيض-بالباء-لبن عمار من ابن رشيق جزاء عامل بسوء عمله" والصواب بالياء "وقيض" أي تهيأ.

2- المغالطات التاريخية والخلط في الأحداث:

وذلك لعدم إلمامهم بتاريخ الحقبة المحققة، فأدى إلى الخلط بين الشخصيات والمغالطات التاريخية منها على سبيل المثال لا الحصر:

1 - أنظر مجلة: صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد: مجلة علمية تصدر عن وزارة التربية والتعليم والإدارة العامة للثقافة- في جمهورية مصر العربية-تصدر عددين في العام-عن المعهد المصري للدراسات بمدريد، ماتياس مونتيرو، رقم 14 مدريد اسبانيا، العدد الرابع، مطبعة المعهد المصري في مدريد-1956م، ص200.

في نفس الكتاب الصفحة 11 ، حيث يتحدث ابن الخطيب عن عقد عبد الرحمان الداخل الخلافة لابنه هشام وسليمان، وكانا عند وفاته غائبين فقد كان هشام بهارده وسليمان بطليطلة، فيقول-تحقيق ليفي:- "وكان أخاهما الثالث عبد الملك المعروف بالبلنسي يدفع الأمر لمن يسبق منهما...الخ" والصواب أن "عبد الملك المذكور إنما هو تحريف لعبد الله" فهو الذي عرف بالبلنسي، ولم يعرف لعبد الرحمان الداخل ابن يسمى عبد الملك على الاطلاق، واستنادا في هذا إلى أكبر حجة في الأنساب العربية بالأندلس ابن حزم الأندلسي صاحب المذهب الظاهري الذي أورد في كتابه جمهرة أنساب العرب تعدادا لأبناء عبد الرحمان الداخل فلم يذكر من بينهم عبد الملك بل تحدث عن عبد الله فقال: "وعبد الله المعروف بالبلنسي لتملكه على بلنسية وتدمير وطرطوشة وبرجلونة ووشنة"¹.

هذا وقد اعتمد تلك الواقعة الأستاذ ليفي بروفنسال نفسه في تاريخه لإسبانيا الإسلامية 140/1 واعتمد في ذكرها رأي جمهور المؤرخين القدماء من أن الأخ الثالث كان عبد الله لا عبد الملك².

المطلب الثاني: على المناهج العربية.

لقد رأينا من خلال عرضنا لبعض النماذج العربية، أن هناك قسمين من المحققين

أولا: من لم يستفد من تجارب الغرب وأفاد مناهج السابقين فقط دون غيرها: فقد وقع في أخطاء كثيرة منها:

- الخلط بين التحقيق والدراسة ومن بين الأمثلة التي وقعت في الخلط الأستاذ: عبد السلام هارون الذي لم يفد من مناهج المستشرقين حيث أنه "لم يميز

1 - ابن حزم الأندلسي: جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، 1962م. ابن الخطيب لسان الدين (ت 776هـ/1374م)، ص 86.

2 - أنظر مجلة: صحيفة المعهد المصري للدراسات الإسلامية في مدريد. ص 197.

قواعد تحقيق المخطوط من العلوم المساعدة على التحقيق فجاء بحثه خليطاً من كل شيء لا منهج فيه ولا تنسيق¹

- فقدان الدقة العلمية والموضوعية
- المغالطات التاريخية.
- التركيز على النص مع إهمال صاحبه
- غياب الأمانة العلمية من خلال التدخل في النص بالزيادة أو النقصان أو ملء الفراغات والاجتهادات.

ثانياً: ممن أفاد من مناهج المستشرقين والمناهج السابقة:

ما يمكن أن نسجله على الدكتور صلاح الدين المنجد ومن حذا حذوه، لو وقفنا عند أول نقطة من القواعد التي وضعها يقول فيها: "عندما نريد تحقيق مخطوط قديم علينا أول الأمر أن نسعى إلى معرفة نسخه العديدة التي توجد مبعثرة في مكتبات العالم ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً"، هذا الشرط فيه نوعاً من المثالية إن صح التعبير، وإذا سلمنا جدلاً واستطاع المحقق أن يجوب العالم، ويتحصل على نسخه جميعها، فإن بعض الجهات المعنية تحتكر مثل هذه المخطوطات.

لذلك يُعد هذا الشرط في تقدير الباحث تعجيزي ومنقّر، ويجعل عملية التحقيق عملية عزيزة المطلب ومهمة شاقة وغير مرغوب فيها، وتستهلك وقتاً كبيراً في البحث عن النسخة الأخرى.

لقد شفع لهذا الشرط قيد ما "استطعنا إلى ذلك سبيلاً"²، فجعل المهمة تنزل من الوجوب والمشقة إلى الندب والسعة.

- خاتمة:

1 - صلاح الدين المنجد: قواعد تحقيق المخطوطات، ص4.

2 - صلاح الدين المنجد: قواعد تحقيق المخطوطات، ص12.

وفذلكة القول، فإن معظم المناهج الغربية والعربية ركزت على جانب وأهملت جوانب عدّة، ويعتري بعضها النقص، ناهيك عن بُعد الهوة بين النظريات والمناهج المبتكرة والموضوعة (ما يجب أن يكون) وتطبيق هذه النظريات في الميدان (الواقع الفعلي)، فبعض المخطوطات لا يمكن أن تجد له أكثر من نسخة فما مصيره؟ مجرد سؤال يحتاج إلى جواب.

كما نجد أن بعض ملاك خزائن المخطوطات يتعاملون مع المخطوط كأنه ملك شخصي وسر لا يجب الاطلاع عليه رَحْمَهُ اللهُ أَسْرَارُ الْعَائِلَةِ رَحْمَهُ اللهُ وإرث يجب صرف النظر عنه فتحرم الأجيال من علم نافع وكنز ضائع فهو عائق يقف أمام المحقق ويحول بينه وبين المخطوط.

كما أن أغلب المناهج والنظريات ركزت في مجملها على النص وعנית به من الناحيتين، الشكلية "الورق، الخبر، الجانب الفني والتقني". والمضمون "التحقيق العلمي والضبط المنهجي وحتى التاريخي"، لكنها أهملت في المقابل أو نسيت الكاتب ولم توليه عناية في مستوى عنايتها بالنصوص المحققة.

هذه النظريات والمناهج، وإن قدّمت الكثير للمخطوط، إلا أنها تظل عاجزة عن مواكبة التقدم العلمي والتطور التكنولوجي، وهي تجابه برفض وعزوف شبه تام من طلبة العلم والمؤسسات العلمية؛ باعتبار أن دراسة المخطوط وتحقيقه ونشره عملية طويلة وتحتاج إلى صبر كبير ونفس طويل؛ ناهيك أن البلدان العربية لم تلتفت لهذا الموروث إلا في السنوات الأخيرة، ولم توليه الاهتمام اللائق به، بل حتى الأموال والميزانيات المرصدة له تظل عاجزة وغير كافية لخدمته الخدمة المنوطة به.

- توصيات ومقترحات:

ومادام التحقيق هو جهد علمي هام، لا يقل أهمية عن التأليف، بل هو جهد وطني يعمل على إحياء تراث الأمة، والتعريف به، وإبرازه لينير السبيل أمام الأجيال الصاعدة، ومن واجبننا اليوم أن نفخر بعلمائنا الأجلاء الذين يصرفون الوقت والجهد،

للتعريف بتراث أمتهم وإسهاماتها عبر التاريخ في الحضارة الإنسانية، وخدمة للتراث المخطوط، نقترح على الباحثين ما يأتي:

- ينبغي على المحقق أن يروض نفسه على الصبر والجلد، لأن تحقيق الكتب والنصوص يحتاج إلى طول نفس.

- على الباحثين أن يختبروا الأدلة قبل أن يختبروا الأقوال المستندة إليها، إذا كانت صحيحة يتأكدون من صحتها، وإذا لم تكن صحيحة صحّحوها، هذا هو المنهج الصحيح للبحث عن الحق والصواب، بعيداً عن الأحكام المسبقة.

- ألا يُعتمد في قبول الأعمال المحققة، إلا الكتب المحققة تحقيقاً جماعياً (التحقيق الجمعي)، مع عدم اعتماد الكتب المحققة فردياً، وذلك من أجل اكساب الكتب المحققة مصداقية علمية أو جرياً على نموذج المجامع الفقهية، حيث التكامل وكل مشارك في الفريق يراعي تخصصه، فيصبح الكتاب المحقق كالمنتوج في المصنع، فيمر على مراحل مختلفة.

- إعادة تحقيق الكتب المحققة سابقاً، أو مراجعتها وتمحيصها، مع مراعاة المزج ما بين المنهجين الغربي للمستشرقين والعربي المبتكر.

- سوف يظل المخطوط من أنفس ما اكتشفته الإنسانية في تاريخها الحديث، ويعد إضافة حضارية ونوعية تضاف إلى رصيد تاريخها المشرف لتحقيق نهضة علمية رائدة؛ تضاهي بها الحضارات السابقة، فهو مرآة الماضي وميزان الحاضر وأمل المستقبل، ليزرع الأمل في نفوس الأجيال اليائسة الباحثة عن شعاع أمل يضيء لها الطريق ومجد تتعلق به.

وسيظل المخطوط العربي الاسلامي؛ بمثابة المعلم الهادي والمنارة الوحيدة التي تكشف للأجيال عن إرث آباءهم ودرر كنوزهم الضائعة، فيدركوا أنّ آباءهم وأجدادهم كانوا رجالاً وقادة وعلماء تشدّ لهم الرحال وتبلغهم المطايا، وأنهم كانوا بحق صانعو الحضارة. وقد يخطئ من يقول أنّ تحقيق المخطوط والعمل على اخراجه هو اجترار للماضي، بل هو عنوان الوفاء للماضي ونيع الحاضر وشعاع المستقبل.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث

أولا المصادر:

- ابن الخطيب لسان الدين (ت 776هـ/1374م)، الإحاطة في أخبار غرناطة ج4، حققه ووضع مقدمته وحواشيه محمد عبد الله عنان، مصر: القاهرة، مكتبة الخانجي، ج1، الطبعة الثانية (1393هـ-1973م).
- ابن الخطيب لسان الدين (ت 776هـ/1374م)، تاريخ إسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الإعلام في من بويع قبل الإسلام من ملوك الإسلام، تحقيق وتعليق إ - ليفي بروفنسال، الطبعة الثانية، لبنان: بيروت، دار المكشوف، 1956م.
- ابن حزم الأندلسي، محمد بن علي بن أحمد بن سعيد، (ت. 456هـ/1064م)، جمهرة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، 1962م.
- ابن سعيد المغربي، علي بن أبي موسى بن محمد بن عبد الملك (ت. 685هـ/1286م) المغرب في حلي المغرب ج2، تحقيق وتعليق شوقي ضيف، الطبعة الثانية، مصر: القاهرة، دار المعارف 1964م.
- ابن منظور، الإمام أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن علي (ت. 711هـ/1311م) لسان العرب، ج15، الطبعة الثانية، لبنان: بيروت، دار صادر (1414هـ/1994م).
- أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت. 383هـ) تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلوم للملايين، بيروت - لبنان، 1407هـ/1987م.
- التهانوي، محمد علي الفاروقي (ت. بعد 1158هـ/1745م) كشاف اصطلاحات الفنون، تحقيق لطفي عبد البديع، مصر - القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر (1382هـ/1963م).
- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت. 817هـ) القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، 1426هـ/2005م.

ثانيا: المراجع العربية:

- إِيَاد خَالِد الطِبَاع منهج تحقيق المخطوطات ومعه كتاب شوق المستهام في معرفة رموز الأعلام لابن وحشية النبطي، دار الفكر، دمشق، الطبعة الأولى، 1423هـ/2003م.

- رمضان عبد التواب، مناهج تحقيق التراث بين القدامى والمحدثين، مكتبة الخانجي بالقاهرة، الطبعة الأولى 1406هـ/1985م.
- صلاح الدين المنجد، قواعد تحقيق المخطوطات، الطبعة السابعة، بيروت، دار الكتاب الجديد 1987م.
- عبد السلام هارون، تحقيق النصوص ونشرها، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط7، 1418هـ/1998م.
- عبد الله بن عبد الرحيم عسيلان، تحقيق المخطوطات بين الواقع والنهج الأمثل، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، السعودية، 1415هـ/1994م.
- عبد المجيد دياب، تحقيق التراث العربي منهجه وتطوره، دار المعارف، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مركز تحقيق التراث، الطبعة الثانية، سنة 1993م، القاهرة-منيل الروضة.
- فهمي سعد وطلال مجذوب، تحقيق المخطوطات بين النظريات والتطبيق، مع تحقيق ودراسة الرسالة الأولى دلف الخزرجي، الطبعة الأولى، 1413هـ/1993م
- هلال ناجي، محاضرات في تحقيق النصوص، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1994م.

ثالثا: المجلات العلمية:

- البلوشي إبراهيم بن حسن بن سليمان، علاقة اللغة العربية بتحقيق المخطوطات، وهي عبارة عن ورقة بحثية مقدمة في المؤتمر الدولي للغة العربية-العربية لغة عالمية: مسؤولية الفرد والمجتمع والدولة. بدون تاريخ ولا مكان عقد المؤتمر.
- شوقي بركة، التراث المخطوط بالصحراء الكبرى حفظه ومراكزه واتاحته للباحثين، مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 15، (2011)
- صحيفة المعهد المصري للدراسات الاسلامية في مدريد: مجلة علمية تصدر عن وزارة التربية والتعليم والإدارة العامة للثقافة-في جمهورية مصر العربية-تصدر عددان في العام-عن المعهد المصري للدراسات بمadrid، ماتياس مونتيرو، رقم 14 مدريد اسبانيا، العدد الرابع، مطبعة المعهد المصري في مدريد 1956م.